

## الفصل الخامس عشر

### تميمة رومية!

لم تكن سبيكة قد نضجت نضج الأنثى، ولا رشدت رُشدَ العقل يوم احتملها النعمان سبيّةً، ولكنها إلى ذلك كانت مُدرِكةً وإِعيّة؛ فقد عَلِمَت منذ اللحظة الأولى أَنَّ ذلك آخِرُ العهد بأهلِها ووطنها، فلن تراهم، ولن يروها أبداً، أليست تعلمِ علِمَ الناسِ مما يدور حولهم من أحاديث؛ أَنَّ أَخْتًا لها قد احتملها الغُزاة منذ بضع وعشرين سنة فذهبت ولم تُعَد، قد غاب أثرها، وضاع خبرها؛ فلا يكاد يذكرها أحدٌ إلَّا أبوها المرزأ، وأمُّها الثكلي، وكانت أختها — إلى ذلك — فتاة ناضجة رشيدة تملك أسباب الحيلة!

بلى، وقد مضت بضع وعشرون سنة أخرى منذ اِحْتَمَلَتْ هي إلى بلاد العرب، فهل يذكرها اليوم أحدٌ من أهلها؟ ... وإنها لتملك اليوم حُرِّيَتها، ولكنها لا تحاول أَنَّ تعود ولا تريد؛ فقد انقطع ما بينها وبين الماضي فلا تمتُّ إليه بسبب، إنها اليوم امرأة عربية مسلمة، تمتُّ إلى هذه الجماعة التي تعيش بينها بأسبابٍ كثيرة، وتربطها إلى ما حولها — ومن حولها — عواطفُ شتَّى، أمَّا تلك التي اِحْتَمَلَتْ من بلادها منذ بضع وعشرين سنةً فكانت فتاة لا عربية ولا مسلمة ولا أمًّا ...

ذلك هو شعورها منذ سنين، فما بالها ما تزال — حيناً بعد حين — تفيء إلى ركنٍ من دارها فتَقْضُ حَتَمَ حَقِيبَتِها، فتنتثر ما فيها من مُخَلَّفات ذلك الماضي تتملأه وتشمُّه وتمسح به عينيها، ثم تبكي ما شاءت؟ ...

وما بالها ما تزال كلما سمعت ناعياً ينعى حبيباً إلى أهله رفرقتُ بجناح، وجاوزت المكانَ والزمانَ إلى حيث كانت تعيش في بلدٍ بعيد بين إخوتها وأخواتها، تريد أن تحصيهم عدًّا وتتصفَّحهم فردًا فردًا؟